

مدرسة الاستشراق

الغزو الفكري

إعداد / محمد الجوهري

قسم الدعوة وأصول الدين

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

waleed.eltantawy@mediu.edu.my

خلاصة— هذا البحث يبحث في مدارس الاستشراق، ونشأته.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق، التصوف.

I. المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد أخي الطالب، سلام من الله عليك ورحمة منه وبركات، ومرحباً بك في سلسلة الدروس المقررة عليك في إطار مادة الغزو الفكري، لهذا الفصل الدراسي، أملين أن تجد فيها كل المتعة والفائدة، وفي هذا درس نتعرف على نشأة الاستشراق وأسبابه، ومدارس الاستشراق.

II. موضوع المقالة

نبدأ الآن حديثنا عن أهم فصيل أو فرع، أو أهم مدرسة منظمة تنظيمياً علمياً دقيقاً أسست منذ ما يقرب من سبعة أو ثمانية قرون، وبالتحديد بعد الحروب الصليبية مباشرة، وأخذت على عاتقها المواجهة المباشرة والمنظمة للإسلام؛ هذه المدرسة هي : مدرسة الاستشراق.

أ. معنى الاستشراق:

كلمة "الاستشراق" : نحن معنا في اللغة العربية أنّ "الألف" و"السين" و"التاء" إذا دخلت على فعل أفادت : معنى الطلب . عندما أقول : " غفرّ"، هذا فعل ماضٍ . إذا أدخلنا عليها "الألف" و"السين" و"التاء" فنقول : " استغفر" تفيد هنا معنى الطلب، يعني : طلب المغفرة من الله.

معنا كلمة : " شرق" إذا أضفنا إليها "الألف" و"السين" و"التاء" وقلنا : "استشرق" معناها: طلب علوم الشرق . إذا كلمة: " استشرق" التي أخذ منها لفظ : " الاستشراق" معناها: طلب علوم الشرق، محاولة التعرف على ما في الشرق من حضارة وثقافة، ودين ومجتمعات بشرية. ومنه أخذ لفظ: "المستشرق".

والمستشرقون هم : الذين يقومون بالتعرف، أو بطلب معرفة ما في الشرق من حضارة، من ثقافة، من أديان، من تاريخ، من أدب، من لغة، من اجتماعات بشرية ... فكان هذه الظاهرة -ظاهرة الاستشراق- تعني: التعرف على ما في الشرق، على كل ما في الشرق، من تاريخ، وحضارة، ولغة، ودين، وثقافة، واجتماع بشري.

وربما كان تقسيم العالم إلى شرق وغرب مرتبطاً بظهور هذا المصطلح؛ لأنه قبل ظهور هذا المصطلح كان العالم يُعرف بأنه الرومان أو عالم الروم، والفرس، والعرب، والهنود، والصينيون. أما تقسيم العالم إلى شرق وغرب فهذا تقسيم استعماري، وربما ارتبط بظهور أو بظاهرة الاستشراق . من هنا نستطيع أن نقول : إنّ الاستشراق هو : محاولة العلماء والمفكرين الأوروبيين أو الغربيين، التعرف على ما في الشرق من حضارة، وتاريخ، ودين، ولغة، وأوضاع اجتماعية.

والذين استعملوا هذا التعبير : "استشراق"، والذين أطلقوه، والذين وظفوه ليسوا العرب، وإنما هم الغربيون أنفسهم . فإذا حاول أحدهم أن يتعلم اللغة العربية، أو يتعلم الدين الإسلامي، أو التاريخ العربي، أو الأدب العربي يُطلق عليه في أوربا: أنه مستشرق.

ب. نشأته:

وهذه الظاهرة نشأت تاريخياً، أو ارتبطت ظهورها تاريخياً بالحروب الصليبية؛ لأن الحروب الصليبية التي انتصر فيها صلاح الدين الأيوبي على جيوش أوربا قاطبة، وخُصص بي ت المقدس من أطعاهم بعد أن احتلوه . ما يقرب من قرن ، هزيمة أوربا أمام صلاح الدين طرحت على مفكرَي أوربا العديد من الأسئلة : كيف ينتصر صلاح الدين على أوربا وعلى أكثر من جيش أوربي وهو أقل منهم عدداً وعتة؟ ما العوامل الكامنة في الجندي المسلم

حتى ينتصر على جيوش أوربا؟ ما ثقافته؟ ما عقيدته؟ ما دينه؟ ما حضارته؟ ما العوامل التي بنت هذه الشخصية حتى ينتصر على جيش أوربا وهو أكثر منه عدداً وعتة؟ هذه التساؤلات كلها طرحت على العقلية الأوربية، وبدعوا يدرسون أو يتناولون الحضارة الإسلامية، والدين الإسلامي، واللغة العربية، والتاريخ العربي والإسلامي - يتناولونه درساً وحصصاً وتمحيصاً ونقداً . ومن هنا وجدنا أن المستشرقين ورعوا أنفسهم أو تخصصوا في كثير من فروع الثقافة الإسلامية؛ بحيث لم نجد فرعاً من فروع ثقافتنا إلا وفيه أكثر من مستشرق متخصص في دراسة هذا الفرع.

فهناك مستشرقون تخصصوا في التصوف الإسلامي، وفي التفسير - تفسير القرآن- وفي الأحاديث النبوية. وهناك مستشرقون تخصصوا في الأدب والشعر، وآخرون تخصصوا في اللغة، وفي علم الاجتماع، وفي التاريخ، وفي الجغرافيا العربية، وفي الحضارة ككل . على سبيل الإجمال : لم يتركوا فرعاً من فروع الثقافة العربية والإسلامية إلا وخصص صوا فيه فريقاً من المستشرقين الذين تفرغوا لدراسة هذا الفرع.

قد يتساءل المرء : لماذا هذا الاهتمام بالثقافة العربية والإسلامية من المستشرقين؟ ولعل فيما قلناه من ارتباط ظاهرة الاستشراق بهزيمة أوربا في الحروب الصليبية ما يجيب على هذا السؤال؛ لأن السبب الأساسي هو : البحث عن العوامل الداخلية التي جعلت الجندي المسلم ينتصر على الجندي الأوربي في حرب غير متكافئة . الجندي الأوربي أو الجيش الأوربي كان أكثر من الجيش الإسلامي عدداً وعتة، ومع ذلك انتصر عليهم صلاح الدين . كان ه ذا هدفاً أساسياً : دراسة مكونات النفسية الإسلامية، مكونات الوجدان العربي، العقيدة التي جعلت من المسلم يدفع بنفسه أمام جيوش أوربا نوداً عن المسجد الأقصى، وعن حياض الإسلام والمسلمين.

هذا هو تعريف "الاستشراق"، وهذا هو تاريخ نشأة الاستشراق، وسبب ارتباط ظاهرة الاستشراق بالحروب الصليبية.

ج. مدارس الاستشراق:

ننتقل من هذا إلى القول بأن الاستشراق مدارس : هناك استشراق يهودي، واستشراق مسيحي. وهناك مستشرقون لا دين لهم لكنهم اهتموا أيضاً بالحضارة العربية والدين الإسلامي، وبدعوا يتخصصون -كما قلنا سابقاً- في فروع الثقافة العربية والإسلامية . لكن سوف نركز في حديثنا عن الاستشراق على الجانب المهم المتصل بمصادر الثقافة الإسلامية وهو : موقف المستشرقين من القرآن الكريم، ومن السنة النبوية المطهرة، ومن النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

د. أسباب الاستشراق:

ولعل من المفيد أن أشير هنا إلى أن بعض المفكرين حين درس ظاهرة الاستشراق حاول أن يلفت النظر إلى أنّ ظاهرة الاستشراق لها أسباب تفسر هذه الظاهرة، وبعضها أسباب غير دينية، أو أسباب لا تتعلق بدراسة الإسلام للنبي ل منه، وإنما لمحاولة التعرف على العالم الإسلامي لمجرد العلم به . بعضهم قال: إنّ وراء الاستشراق أسباباً علمية : محاولة التعرف على الشرق لمجرد العلم بما في الشرق، وليس لمجرد النيل من الإسلام، أو النيل من اللغة العربية. هذه أسباب علمية.

وبعضهم قال : إن هناك أسباباً اقتصادية : كانت أوربا تعيش في فقر مدقع، وحاول مفكرو أوربا -أو بعض مفكري أوربا- أن يدرسوا الشرق؛ ليقفوا على خيرات الشرق وما فيه من خيرات كثيرة؛ ليمهدوا لغزو الشرق غزواً عسكرياً، لمحاولة السيطرة على خيرات هذه البلاد. وهذا السبب له نصيبه من الوجاهة أيضاً؛ لأننا لو استقرت لنا البلاد التي احتلتها أوربا احتلالاً عسكرياً بجيوش عسكرية، نجد أنّ هذا الغزو العسكري أو الاحتلال العسكري كان مسبباً بجيوش من المستشرقين الذين سبقوا الغزو العسكري، وأقاموا في هذه البلاد ودرسوا ظروفها الاجتماعية، وأحوالها الثقافية، وأديانها، وحضارتها، وتاريخها، ونفسية أبنائها، وما هي المداخل النفسية للسيطرة على هذه الشعوب . فعلوا ذلك مع الهند، وفعلوا ذلك مع مصر، وفعلوا ذلك مع السودان والعراق . سبقت الجيوش العسكرية جيوش من المستشرقين، لتمهّد لهم، وترسم لهم الخطط، وتبين لهم الوقت والظرف المناسب للاحتلال العسكري بعد أن يكونوا قد درسوا نفسية هذه الشعوب.

البعض يرى أيضًا : أن للاستشراق أسبابًا سياسية؛ لأن الاستعمار الأوربي - هناك عصر يسمى عصر الاستعمار - عصر الاستعمار العسكري هذا مهد له المستعمرون العسكريون باستعمار آخر، يجوز أن نسمّيه: الاستعمار العقلي، ويجوز أن نسميه استعمارًا فكريًا، أو غزوًا فكريًا. المهم: أن البعض يربط الغزو العسكري لبعض البلاد العربية والإسلامية، يربط بينه وبين الغزو الفكري أو ظهور الاستشراق، ويجعل جيوش المستشرقين سابقة على جيوش الغزاة العسكريين . ويستدلون على هذا بموقف نابليون بونابرت حين غزا الشرق في الحملة الفرنسية على مصر أو على الشرق، فكانت مسبوقه بجيش من المستشرقين مهد لبونابرت، وبين له كيف يحتلّ مصر بأقلّ قدر من الخسائر البشرية.

المراجع والمصادر

- ١- الميداني، عبد الرحمن حسن ، (أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها)، دار القلم ١٩٩٠م.
- ٢- الميداني، عبد الرحمن حسن ، (أسس الحضارة الإسلامية ورسائلها)، دار القلم ١٩٨٠م.
- ٣- كونوي زيفلر، (أصول التنصير في الخليج العربي : دراسة وثائقية)، ترجمة: مازن صلاح مطبقاني، مكتبة ابن القيم ١٩٩٠م.
- ٤- جريشة، علي، (الاتجاهات الفكرية المعاصرة)، دار الوفاء للطباعة والنشر ١٩٩٠م.
- ٥- حسين، محمد محمد، (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر)، دار الرسالة ١٩٩٣م.
- ٦- الفيومي، محمد إبراهيم، (الاستشراق رسالة استعمار)، دار الفكر العربي ١٩٩٣م.
- ٧- السباعي، مصطفى، (الاستشراق والمستشرقون ، ما لهم وما عليهم)، المكتب الإسلامي، ١٩٧٩م.
- ٨- زقزوق، محمود حمدي، (الإسلام والاستشراق)، دار القلم العربي ١٩٩٤م.
- ٩- شلبي، عبد الجليل، (الإسلام والمستشرقون)، دار الشعب ١٩٧٧م.
- ١٠- الطهطاوي، محمد عزت، (التبشير والاستشراق)، الزهراء للإعلام العربي، ١٩٩١م.
- ١١- خالدي، مصطفى، (التبشير والاستعمار في البلاد العربية)، وعمر فروخ، المكتبة العصرية، ١٩٨٦م.
- ١٢- عبد العزيز العسكر ، (التنصير ومحاولاته في بلاد الخليج العربي)، مكتبة العبيكان، ١٩٩٣م.
- ١٣- علي عبد الحليم محمود، (الغزو الفكري والتيارات المحاربة للإسلام)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلس العلمي، ١٤٠٤هـ.
- ١٤- السايح، أحمد عبد الرحيم، (الغزو الفكري)، سلسلة كتب الأمة، الدوحة، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٤١٤ هـ.
- ١٥- البهي، محمد، (الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار)، دار الفكر، ١٩٧٠م.
- ١٦- الزعبي، محمد علي ، (الماسونية في العراق)، مؤسسة مطابع معتوق، ١٩٧٥م.
- ١٧- عطا، أحمد عبد الغفور، (الماسونية)، رابطة العالم الإسلامي، ١٩٧٨م.
- ١٨- السقا، محمد صفوت، (الماسونية)، رابطة العالم الإسلامي، ١٩٨٣م.
- ١٩- العواجي، غالب بن علي ، المذاهب الفكرية المعاصرة دورها في المجتمعات، وموقف المسلم منها)، المكتبة العصرية الذهبية، ٢٠٠٦م.